المحاولات الاحتجاجية لمعتقلي الجيش الجمهوري الايرلندي IRA وانعكاسها على بلورة الفكر الجمهوري في ايرلندا الشمالية

أ.م.د. كفاح كريم سلمان
كلية الآداب – الجامعة المستنصرية

الكلمات المفتاحية: التاريخ الاوربي. الاضراب. الجيش الايرلندي

الملخص:

من الواضح ان الاحتجاج المتمثل بالأضراب عن الطعام الذي تبناه معتقلي الجيش الجمهوري الايرلندي خلال مدة نضالهم سواء كانت في السبعينيات أو الثمانينيات من القرن العشرين، لم تؤدي إلى أهدافها في اقناع الحكومة البريطانية برئاسة مرغريت تاتشر، بمنح معتقلي IRA صفة سجناء سياسيين وما اطلقوا عليه " وضع الفئة الخاصة " بعد ان وعدهم في وقت سابق وزير آيرلندا الشمالية ويليام واتيلو ببعض الامتيازات لتمييزهم عن النزلاء الذين سجنوا نتيجة جرائم شبه عسكرية، إلا أن هذه الامتيازات قد الغيت بالتدريج من قبل وزير آيرلندا الشمالية ميرلين ريس، وادى ذلك إلى اضرابات داخل السجون في عام 1976 و1978، سمي بالاحتجاج القذر، في البداية كان مجلس الجيش الجمهوري الايرلندي يعارض الاضراب عن الطعام، الا انه عام 1980 بدأ المعتقلون بالتصعيد في محاولة منهم لاجبار الحكومة البريطانية منحهم وضعاً سياسياً. أدى ذلك إلى قيام داعمو الاضراب بعدد من المسيرات الاحتجاجية مطالبين بالحقوق المدنية.

يعد بوبي ساندز من ابرز المضربين الذي انتهى بوفاته، وكان قبل ذلك قد فاز بحصوله على مقعد هاري ويست زعيم الحزب الاتحادي. كل ذلك، لم يثنِ رئيسه الوزراء مارغريت تاتشر التي أعلنت انها لا يمكن ان توافق على منح المكانة الخاصة لمرتكبي الاعمال الاجرامية حتى وان كانت دوافعه سياسية.

بعد وفاة ساندز ومعتقلون آخرون اندلعت أعمال عنف في آيرلندا الشمالية قتل فيها (61) شخصاً.

فشل الأضراب عن الطعام سياسياً لأنه لم يحقق أهدافه في ذلك الوقت، إلا أن المعتقلين شبه العسكريين تمكنوا من اتخاذ صفة اسرى حرب.

أدت عمليات الاضراب إلى تصاعد شعبية الشين فين، بسبب تعاطف الجماهير القومية معهم، وحصولهم على مقاعد أكثر في انتخابات مجلس ايرلندا الشمالية، وعلى الرغم من ذلك لم تستطع الحركة القومية من استدرار عطف الحكومة البريطانية ممثلة برئيسة وزرائها مارغريت تاتشر التي وصفت المضربين بأنهم أرهابيون وانها لن تذعن للإرهاب. على الجانب الآخر تمكن الشين فين والحركة الجمهورية من ايصال صوتهم إلى كل العالم ايماناً بقضيتهم، وتمكنوا من توجيه انظار العالم اليهم وبأن بريطانيا دولة استعمارية تحتل ايرلندا الشمالية.

المقدمة:

يتناول البحث الذي جاء في ثلاثة محاور اضراب الجيش الجمهوري الايرلندي IRA عن الطعام ودوره في انعاش الحركة الجمهورية وتصاعد شعبيتها في إيرلندا الشمالية في محاولة منه للضغط على الحكومة البريطانية للحصول على مكتسبات سياسية وانقاذ الجيش الجمهوري الايرلندي من هزيمة عسكرية من خلال التأثير العاطفي على المجتمع الكاثوليكي الذي صوّت لصالح الحركة في انتخابات عام 1981. ودعم الحركة أيضاً من خلال مسيرات الحقوق المدنية.

تطرق المحور الأول اضراب المعتقلون عن الطعام وانعكاسات ذلك الأضراب على الحركة ايجابياً مع تصاعد شعبيتها، على الرغم من عدم استجابة الحكومة البريطانية لمطالب المضربين، الأمر الذي أدى وفاة عدد كبير منهم.

وتناول المحور الثاني دور عمليات الاضراب في تصاعد شعبية الجيش الجمهوري الايرلندي المؤقت فيما تناول المحور الثالث موقف الحكومة البريطانية متمثلاً برئيسة وزرائها السيدة مرغريت تاتشر من الاضراب.

أن موضوع كالجيش الجمهوري الايرلندي ودوره في تاريخ ايرلندا الشمالية يشكل أهمية كبيرة، فقد كان لتلك الحركة دورها المهم منذ تأسيسها بعد الحرب العالمية الأولى وتبنيها الدفاع عن حقوق الشعب الايرلندي في ايرلندا الشمالية وحملها السلاح بوجه الحكومة البريطانية، التي عملت على تقسيم ايرلندا واثارت النعرات الطائفية والتميز الديني والثقافي والأجتماعي بين الالستريين الوحدويون والايرلنديين القوميين.

اعتمد البحث على عدد من المصادر البريطانية والايرلندية التي تناولت تاريخ ايرلندا الشمالية فضلاً عن وثائق مجلس العموم البريطاني وابرز هذه المصادر هي مذكرات مرغريت تاتشر وكتاب الحروب اللامدنية Uncivil wars للكاتب بادرج اوميلي Padrig O'malley وكتاب تاريخ ايرلندا الشمالية 1920-1996 Ireland 1920-1996 A History of Northern- للكاتب توماس هنسي Tiomas Hennessy.

أضراب الجيش الجمهوري الايرلندي عن الطعام

يعد الإضراب عن الطعام نوع من أنواع الاحتجاج السلمي للحصول على مطالب مشروعة أو وسيلة للضغط بأتجاه الحصول على تنازلات ازاء قضايا معينة، وقد استخدمها المعتقلون الايرلنديون مابين عامي 1917 وعام 1920 ، ادت إلى وفاة بعض المضربين. وقد لجأ البعض من معتقلي الجيش الجمهوري الايرلندي (IRA (Irish Repubican Army إلى الإضراب مطلع السبعينيات كوسيلة لأطلاق سراحهم من الأعتقال بدون توجيه تهم اليهم.

تبنى الجيش الجمهوري الايرلندي IRA وهو الجناح العسكري لمنظمة الشين فين نظام الخلايا واستخدم ستراتيجية حرب القوة المتدنية وهي حرب لا تقوم على المواجهة المباشرة بين جيشين بل على أساس قيام أحد الأطراف بعمليات تهدف إلى استنزاف الطرف الآخر من دون مواجهته بشكل مباشر، وقد أدى تبنيه لهذه الإستراتيجية إلى انقاذ الجيش الجمهوري الايرلندي من هزيمة عسكرية محققة، وفي الوقت ذاته فأن الحظوظ السياسية للحركة الجمهورية قد انتعشت من خلال التعاطف الكبيرة الذي حصل عليه المجتمع القومي الكاثوليكي بفعل اضرابات العام 1981 عن الطعام[1].

بدأت الحكومة البريطانية المحافظة برئاسة ماغريت تاتشر Margaret Thatcher (4 مايس 1979-28 تشرين الثاني 1990)، بترسيخ الحكم البريطاني المباشر من خلال تحولها إلى التركيز على التعاون مع جمهورية ايرلندا، ففي كانون الأول 1980، كانت هناك قمة بريطانية-ايرلندية رفيعة المستوى في دبلن Dublin وفي العام 1981 تم انشاء مجلس حكومي انكلو – ايرلندي[2]

على الرغم من محاولة البريطانيين خلق ظروف شبه طبيعية للحكم المباشر في ايرلندا الشمالية إلا أن اضراباً عن الطعام قاده بيلي مكيّ Billy Mckee وهو قائد سابق لقوات الجيش الجمهوري الايرلندي المؤقت في بلفاست مع أربعين معتقلاً جمهورياً في عام 1972 مطالبين بحقوقهم كأسرى حرب، أشعلت شائعة خاطئة عن وفاة بيلي مكيً أعمال شغب في بلفاست، وانتهى الإضراب بعد 37 يوماً حين وافقت الحكومة البريطانية، التي

حرصت على عدم الخروج من خط المحادثات، على منح المعتقلين ما اصطلح عليه بـ "وضع الفئة الخاصة" الذي كان احد المطالب التي طالب بها المفاوضون من الجيش الجمهوري الايرلندي المؤقت عند لقائه وزير ايرلندا الشمالية ويليام واتيلو William wyatlwa في 22 حزيران 1972 بأعتبار ان سجنائهم يختلفون عن النزلاء الآخرين الذين اعتقلوا نتيجة جرائم شبه عسكرية ارتكبتها الجيش الجمهوري الايرلندي [3]. لكن حكومة حزب العمال البريطانية الجديدة ووزير ايرلندا الشمالية مرلين ريس Merlyn Rees أمر بالالغاء التدريجي لمجموعة الامتيازات التي ادخلها سلفه ويليام وايتلو عام 1972، لتمييز الارهابيين عن المجرمين العاديين، إذ عدّه خاطئاً لأنه على لسان أحد المسؤولين: " حوّلت هذهِ الامتيازات المعتقلات إلى مدارس للإرهاب وابعدت شبه العسكريين عن المجرمين العاديين، وهكذا تمنحهم درجة من الاحترام في العالم الخارجي، وبالتالي قد يكون هناك القليل من الشك في كون قرار ميرلين ريس هو القرار الصحيح[4]. وكان ذلك جزء من الاستراتيجية الشاملة لأعادة صياغة الصراع بوصفه أزمة قانون ونظام في المقام الأول. وستأخذ شرطة الستر الملكية (Royal Ulster Constabulary) الجيش الجمهوري الايرلندي زمام المبادرة في نشاط مكافحة الأرهاب وسيتم الغاء التشريع الخاص تدريجياً وسيكون لتطبيع الحكم المباشر الأسبقية على المبادرات السياسية [5].

وفي 16 كانون الأول 1976، جُلب احد معتقلي الجيش الجمهوري الإيرلندي وهو سيارن توغنت (Siaran Nugent) إلى سجن لونغ كيش Long Kesh الذي أعُيد تسميته بـ ميز Maze، بعد ادانته بأرتكاب جريمة ارهابية وقعت بعد اذار 1976 وهو الموعد النهائي لوضع الفئة الخاصة، رفض قبوله عارياً ولفَّ نفسه بفراش السجن وهو ما عرف بأحتجاج" الذهاب إلى البطانية going on the blanket " وحين لم يجلب هذا أية تنازلات من السلطات تصاعد عام 1978 إلى ما يسمى بـ "الاحتجاج القذر " dirtg protest حين حطّم السجناء أثاث زنزاناتهم، ورفضوا غسل أو استخدام التواليت ولوثوا انفسهم وزنزاناتهم بغائطهم مطالبين بالمكانة السياسية ومرتدين الشراشف فقط [6].

كان مجلس الجيش الجمهوري الايرلندي معارضاً للسماح بالأضراب عن الطعام، خوفاً من الشعور بالأحباط في مواجهته، مع ذلك اصرَّ المعتقلون أهدافهم في معركة شرسة لتحقيق، وفي 27 تشرين الأول 1980، مُنح اذن بالتصعيد وشارك ما مجموعه 33 معتقلا في الإضراب عن الطعام بمن فيهم انثى واحدة وهي ميريد فاريل Mairead Farrell[7]. مع ذلك وقبل ان يموت احداً منهم تم ايقاف الإضراب حينما فسّرَ المعتقلون عرضاً بريطانياً "بغطاء

مدني"متمثلاً برسالة من قبل وزير الدولة لشؤون ايرلندا الشمالية هامغري اتكنز Hamphery Atkin بالاضافة إلى وثيقة من الحكومة البريطانية وضح فيها عدداً من المطالب السابقة، على انه تم منحهم وضعاً سياسياً بحكم الواقع [8].

قام داعمو المضربون عن الطعام في تشرين الثاني 1980 بمواكب استعراض عسكرية مقارنة بحجم مسيرات الحقوق المدنية مرددين " قبلي للاستشهاد " ، وفي أواخر عام 1980 تلاشت المرحلة الأولى من الاضرابات عن الطعام وبدأت المرحلة الثانية في آذار 1981، وهي أكثر تصميماً بقيادة بوبي ساندز Bobby Sands أحد قيادي الجيش الجمهوري الايرلندي المؤقت في سجن أج – بلوكس أوف لونغ كيش H. Block of Long Kesh بالقرب من بلفاست[9]، وقد اوضحوا سبب اضرابهم لتصورهم الذاتي لجيش شرعي بأعلانهم: " نحن اسرى الحرب الجمهوريون في سجن اج بلوكس، لونغ كيش نطالب كحق لنا بالاعتراف السياسي ومنحنا وضع معتقلين سياسيين ، نحن نطالب بهذا الحق بوصفنا محاربون مأسورين في الكفاح المستمر لأجل التحرير الوطني وتقرير المصير"[10] وادعى بوبي ساندز بأن الجهود الرامية إلى ايجاد تعاون تدريجي بين المعتقلين وادارة السجن قد باءت بالفشل. وقدم المعتقلين سبعة مطالب وهي: الحق في ارتداء ملابسهم الخاصة وعدم ارغامهم على العمل وحرية الاختلاط وزيادة اعداد المؤسسات الترفيهية والسماح بأرسال واستلام اعداد اكبر من الرسائل وزيادة الزيارات ومنحهم الإعفاءات التي صودرت اثناء الاحتجاج [11].

لقد كانت الظروف في سجن اشتى بلوك H-Bloks أفضل بكثير، مما في المعتقلات بشكل أساسي، اذا كانت زنزاناته منفردة، تنظف بانتظام حين يوسخها المعتقلون، ويجعلونها فوضى، ومع مرافق عالية المستوى للتمارين والدراسة، إذ نفذت الحكومة كل توصيات المفوضية الأوربية لحقوق الإنسان [12].

حصل المعتقلون على فرصة فريدة من نوعها عندما توفي النائب المستقل عن فيرمانع ساوث تيرون، فرانك ما غواير Franke Maguire وهو جمهوري تقليدي قريب من الجيش الجمهوري الايرلندي المؤقت بشكل غير متوقع. في البدء ولكونها غير متأكدة من كيفية الرد استنتجت قيادة الشين فين الجناح السياسي للجيش الجمهوري الايرلندي في نهاية المطاف أن فرصة الاستفادة من التعاطف الكاثوليكي الهائل مع الاضرابات عن الطعام كانت جيدة جداً بحيث لاتفوت وتم الترشيح بوبي ساندز وهو أقرب مضرب عن الطعام إلى الموت، كما انه انضّم إلى الجيش الجمهوري الايرلندي بعد تخويف عائلته من قبل الموالين خارج عزبة راثكولي Rath Coole في بلفاست وكان قد ادين بتهمة حيازة اسلحة،[13].

وفي تسابق مع هاري ويست Yarry west زعيم الحزب الاتحادي لالستر (uister uup (unionist party، أُنتخبَ ساندز بـ 30.492 صوت مقابل 20.046 صوتاً لهاري ويست. وبعد أن قام حزب العمال الايرلندي الديمقراطي (Social Democratic and Labour Party) SDLP بسحب مرشحيه وبذلك لم يبقَ امام الناخبين سوى ساندز والمرشحين الاتحاديين، وبالفعل تم انتخاب ساندز الذي أمضى 40 يوماً مضرباً عن الطعام [14].

في الواقع هذه النتيجة لم تؤثر على رئيسة الوزراء البريطانية مارغريت تاتشر التي أعلنت قائلة : " في الواقع اننا غير مستعدين للنظر في منح مكانة خاصة لبعض الأشخاص الذين يمكثون في السجون لقضاء العقوبة المفروضة عليهم جراء ارتكابهم أعمال أجرامية، فالعمل الأجرامي يبقى عملاً أجرامياً حتى وان كانت دوافعه سياسية " [15].

أما وزير الدولة لشؤون ايرلندا الشمالية هامفري اتكنز فقد اضاف قائلاً: " اذا ما اصرَّ السيد ساندز على ان يرتكب جريمة الانتحار فأن ذلك أمراً يخصه وحدهُ ولن تجبره الحكومة على تلقي العناية الطبية اللازمة " [16].

وفي الثامن والعشرين من شهر نيسان 1981 قام سكرتير البابا الخاص بزيارة ساندز في معتقل ميز ، الا انه فشل في اقناعه بأنهاء الأضراب عن الطعام، في هذه المرحلة بدأ ساندز ينظر إلى نفسه على انه معتقل سياسي سجين من قبل قوات الأحتلال. وفي 27 تشرين الأول 1980 اليوم الذي بدأ به التصعيد عن طريق الإضراب عن الطعام كان ساندز قد كتب قائلاً : " في الواقع انا معتقل سياسي، وذلك لأني ضحية حرب طويلة تدور رحاها بين المواطنين الأيرلنديين المضطهدين ونظام دخيل استبدادي يرفض أن يسحب قواته من اراضي بلادنا ".

لقد كان ساندز يؤمن بأن : " الاله قد منح الشعب الايرلندي الحق بأن يكون شعباً مستقلاً ذو سيادة، ما منح جميع الرجال والنساء الايرلنديين ان يؤكدوا على حقهم هذا من خلال الثورة المسلحة. " ولقد آمن دائماً بأن : "لا يمكن ان يكون هناك سلام دائم في آيرلندا الشمالية قبل ان يختفي الوجود البريطاني الاستبدادي من الأراضي الايرلندية تاركاً جميع المواطنين الايرلنديين ليتحدوا ويسيطروا على شؤونهم الخاصة، ويقرروا مصيرهم كأي شعب مستقل وذو سيادة، وان يكونوا شعباً حراً ومستقلاً ثقافياً واقتصادياً ". كما انه كتب قائلاً: " انني أموت اليوم ليس فقط لأني أحاول وضع حدٍّ لهمجية وبربرية "H.Block"، أو لأني أحاول الحصول على الاعتراف الذي يليق بالمعتقل السياسي، بل اني أموت اليوم في الأساس لأن

الخسارة الحاصلة هنا هي خسارة للجمهورية الايرلندية، وخسارة لأولئك المضطهدين البائسين الذين اشعر بفخر كبير لمعرفتهم لأنهم هم الصاعدون نحو العلياء" [17].

توفي ساندز في الخامس من آيار من عام 1981، بعد مرور 66 يوماً على اضرابه عن الطعام، وكان هو أول من يموت من بين عشرة اشخاص ماتوا بفعل هذا الأضراب، أما عاشرهم فلقد توفي في العشرين من ر آب، بعد ذلك اشارت مارغريت تاتشر في مجلس العموم قائلة: " لقد كان السيد ساندز مجرماً ثبت جرمه بالدليل القاطع ولقد أختار بنفسه الطريق الذي سلكه في حياته، وهو خيار لم تسمح به منظمته للعديد من الضحايا " [18].

من جهة أخرى، حضر في السابع من آيار عام 1981 ما يقارب مئة الف شخص إلى مراسيم دفن ساندز في بلفاست ولقد أشار الأسقف الكاثوليكي في ويري قائلاً : " في الواقع لن أصف موت بوبي ساندز على انه انتحار ولن أقبل بمثل هذا الوصف فأنا اعتقد بأنه لم يكن ينوي من اضرابه هذا قتل نفسه ". ومن جهة أخرى قام كبير الاساقفة الكاثوليك الكاردنيال توماس أو فيايسشست بشجب موقف الحكومة البريطانية المتزّمت ، وحذّر من أن هذا الموقف سوف يؤدي إلى أثارة الغضب العام بين صفوف ابناء الشعب جميعاً[19].

توفي المعتقل فرانسيس هون – وهو أحد أفراد الجيش الجمهوري الايرلندي المؤقت في اليوم (59) من اضرابه عن الطعام، كما توفي رايموند ميك كديش وهو أحد افراد الجيش الجمهوري الايرلندي المؤقت في 21 ايار بعد (61) يوم من الإضراب عن الطعام وتوفي باتسي اوهارا وهو قائد معتقلي جيش التحرير الوطني الايرلندي (Irish National Liberation) INLP الذي توفي في 8 تموز بعد (61) يوم وكذلك مارتن هورسون أحد افراد الجيش الجمهوري الايرلندي المؤقت في 13 من تموز بعد (46) يوم وكيفن لينج من افراد INLA الذي توفي في الأول من آب بعد (71) يوم وكيدان روهرتي – أحد افراد الجيش الجمهوري الايرلندي المؤقت و الذي توفي في 2 آب بعد (73) يوم من الإضراب، وتوماس ميك ايلوي وهو أحد افراد الجيش الجمهوري الايرلندي المؤقت الذي توفي في 8 آب بعد مرور (66) يوم على اضرابه عن الطعام. من جهة أخرى ، توفي (61) شخص في حوادث عنف خلال عمليات الإضراب عن الطعام.اذ قتل (15) شخص من افراد شرطة السير الملكية في عمليات تفجير أو قتل بعيارات نارية، ولقد لقي خمسة مصرعهم في انفجار لغم ارضي بالقرب من كاملون في مقاطعة آرما، كما قتل (34) مدني آخرين. من بينهم أمرأة اصيبت بطلق ناري ارداها قتيلة على الفور اطلقهُ احد افراد الجيش الجمهوري الايرلندي المؤقت اثناء جمعها لأستمارات البيانات الخاصة بالتعداد السكاني في لندنديري Londondery [20].

أما على الساحة السياسية فلقد تمكن الوكيل الانتخابي لساندز (أوين كارون) Oyen karon من الفوز في الانتخابات الفرعية بسبب المشاعر التي اثارتها حالات الوفاة جراء الإضراب عن الطعام، إذ تمكن من الحاق الهزيمة بمرشح اتحاديو الستر (كين مغيتس) Kean Magenes بعد ان حصل على (31.287) صوت مقابل 29.048 صوت. اما في مجالس المقاطعات فلقد تمكن مرشحين من احزاب خاضوا حملة ضد قضية H. Block من جمع (51.000) صوت والفوز بـ 36 مقعد وذلك في انتخابات مجالس المقاطعات التي تم أجراءها في آيار من عام 1981، ولقد أظهر استطلاع للرأي في ايرلندا الشمالية بأن 57% من الكاثوليك اتفقوا على:" ينبغي على الحكومة البريطانية أن تكف عن معاملة الأشخاص المدانين بجرائم معينة (تصفهم الحكومة البريطانية بأن لهم أهداف سياسية، على انهم معتقلون اعتياديون"[21].

وفي 3 تشرين الأول 1981، تم الغاء الإضراب عن الطعام، حينما بدأ الأرهاب الشعبي يتغلغل وصدم الاستمرار المتزايد المراقبين على انه تفكير دموي انتحاري، وأوضحت عائلات المضربين عن الطعام الذين لازالوا على قيد الحياة بأنها ستسمح بالتدخل الطبي لأنقاذ ارواح ابنائها [22].

انتهى الإضراب عن الطعام وادرك الجيش الجمهوري الايرلندي المؤقت ان حكومة مرغريت تاتشر لن توافق على " المكانة السياسية " الا انهم تمكنوا من الفوز بتنازلات مهمة من قبل الحكومة البريطانية في العديد من القضايا التي تخص المعتقلين، مثل السماح لهم بأرتداء ملابسهم الخاصة في جميع الاوقات، وهنا تجدر الإشارة إلى ان هذه التنازلات لم تقدم من الحكومة البريطانية الا بعد توقف عمليات الإضراب عن الطعام، إذ أعلنت الحكومة البريطانية في 6 تشرين الأول 1981 سلسلة من الإجراءات التي قطعت شوطاً في تلبية العديد من جوانب مطالب المعتقلون. وفي الوقت المناسب استعادَ المعتقلون شبه العسكريين وضع أسرى الحرب بالفعل، مما سهل اصدار ما يشبه العفو في التسعينيات [23].

دور عمليات الإضراب في ارتفاع شعبية الجيش الجمهوري الايرلندي المؤقت:

بعد عمليات الإضراب شهدت وتيرة العنف ارتفاعاً ملحوظاً إذ قفزّت أعداد القتلى من 76 شخص في العام 1980 إلى 101 شخص، كما ارتفعت حصيلة القتلى بفعل اطلاق الرصاص من 642 إلى 1.142 قتيل، أما اعداد القتلى بفعل التفجيرات ، فلقد ارتفعت من 400 إلى 529 قتيلاً. وعلى المدى الطويل كان لعمليات الإضراب تأثيراً بالغ الأهمية على ابناء الطائفة الكاثوليكية. إذ اشار الاب ديس ويلسون Des Wilson اثناء حديث له عن تأثيرات

عمليات الإضراب عن الطعام على الأحياء الكاثوليكية الفقيرة في مناطق غرب بلفاست قائلاً:" في الواقع نجد اليوم بأن هناك اعداد غفيرة من الأشخاص الذين انخرطوا بين صفوف المسيرات الحاشدة التي خرجت للاحتجاج على تعامل الحكومة مع المضربين عن الطعام لم يسبق لهم ان لجأوا إلى هذه المسيرات من قبل ... فمعَ كل حالة وفاة، نجد بأن هنالك عدداً من الأشياء التي تصبح ممكنة، من حيث انها لم تكن ممكنة من قبل إذ أصبح اليوم من الممكن للبعض ان يعبروا عن أحترامهم وتقديرهم لـ الجيش الجمهوري الايرلندي المؤقت، في حين ان التعبير عن هذهِ المشاعر سابقاً كان يعني وضع صاحبها تحت طائلة التنديد والذم من قبل الكنيسة والدولة على حدٍ سواء. ان المشكلة الحقيقية في عمليات الإضراب عن الطعام تكمن في ان العديد من الشخصيات المرموقة كانت قد لجأت اليها في الماضي، ولقد تمكنت من خلالها من كسب تقدير الناس وتمجيدهم، لذلك لايمكن اليوم أن ندعي بأن عملية الأضراب عن الطعام هي عملية لا أخلاقية أو عنيفة طالما قلنا عنها خلاف ذلك في الماضي، وفي ايرلندة الشمالية فأن عمليات الإضراب عن الطعام تمثل شيئاً تتجاهله الحكومات، وتتجاهل الخطر الذي يمكن ان يترتب عليها" [24].

في الواقع لقد أدى النجاح الذي حققه الشين فين في الانتخابات إلى تشجيع الحركة الجمهورية على تبني استراتيجية مزدوجة، وتتمثل هذه السياسة في السؤال الذي طرحه الرائد الجمهوري داني ماريسون Danny Morrison في تشرين الأول 1981، إذ تساءل قائلاً:

" من منا يعتقد حقاً بأننا قادرين على ان نكسب المعركة من خلال صناديق الأقتراع؟ ترى هل يستعرض أي شخص هنا إذ اما ستحوذنا على السلطة في ايرلندا الشمالية ونحن نحمل ورقة الأقتراع في يد والارمالايت [وهي بندقية اوتوماتيكية] في اليد الأخرى؟ " [25].

لقد تمكنت الشين فين في انتخابات مجلس ايرلندا الشمالية الجديد والتي اقيمت في تشرين الأول 1982، من الحصول على 64.191 صوت أي ما يساوي 10% من الأصوات، في حين تمكن حزب العمال الاجتماعي الديمقراطي من جمع 118.891 صوت أي 19% من الأصوات [26].

وفي العام 1983 تمكن جيري آدمز Jerry Adams والذي سيصبح رئيساً للشين فين بعد رحيل الشخصيات القديمة مثل روايدي اوبرايدي Ruoiri O Bradaigh الذين كانوا من انصار الموقف الجمهوري التقليدي القائم على عدم المشاركة في الانتخابات البريطانية، من الحصول على أغلبية الأصوات على حساب مرشح حزب العمال الاجتماعي الديمقراطي بعد ان جمع 5.445 صوت، وبذلك أصبح عضواً برلمانياً ممثلاً عن غرب بلفاست . وبصورة عامة

انخفضت حصة الـ حزب العمال الديمقراطي الاجتماعي من الأصوات إلى 18% في حين ارتفعت حصة الشين فين إلى 13%.[27]، ولقد أشار داني ماريسون إلى ان الانتخابات تمثل جزءاً واحداً من الصراع الكلي، وهذا ما تجلى في العام 1984 عندما أوشك هجوم تفجيري شنه الجيش الجمهوري الايرلندي المؤقت في مؤتمر لحزب المحافظين في بريغتون على القضاء على مجلس الوزراء برمته، ولقد بقي الاهتمام الرئيسي منصباً على الصراع المسلح وذلك لأن: " الصراع المسلح يمثل الطريقة الوحيدة لأخراج البريطانيين من ايرلندا" أما الهدف الكامن وراء التنافس في الانتخابات المحلية فيتمثل في : " القضاء التام على الفكر البريطاني الذي يفيد بأن الجمهوريين يفتقرون إلى الدعم [28]. ولقد أظهروا بالفعل بأن الجمهوريين يتمتعون بدعم الجماهير في ايرلندا الشمالية. أما الشين فين، فلقد انتقد الاستيراتيجية السياسية التي اتبعها حزب العمال الاجتماعي الديمقراطي إذ وصفها بأنها سياسة "تعاونية".

في الواقع كان الشين فين يهدف إلى ارخاء القبضة الحديدية التي تسيطر حزب العمال الاجتماعي الديمقراطي من خلالها على المجتمع القومي.

اما الجمهوريون فلقد كان يشعرون بأن الحركة الجمهورية كانت هي الأساس الوحيد للمحادثات المباشرة مع البريطانيين كي تصرّح الحكومة البريطانية بنيتها في الانسحاب من ايرلندا الشمالية [29].

أن تصريح الحكومة البريطانية في صالح التوحيد الطويل الأمد لأيرلندا لم يكن كافياً، لأنه، كما اوضح ديثي اوكونيل Daithi Oconaill ان "البريطانيين مشهورون بالغش والخداع تماماً لأنهم يقومون بتصريح ومن ثم يخرجون منه تسعة أو عشرة تغييرات مختلفة. نحن نريد تصريحاً واضحاً غير غامض بنتيجة مغادرتهم البلاد [30].

ان تسوية تنشأ من عملية انكلو – ايرلندية بين الحكومتين البريطانية والايرلندية سوف لن تكفي، لأن هذا الأمر يتضمن ارتباطاً اوثق مع بريطانيا، وما كان جوهرياً للجمهورية هو مفهوم الهوية الانفصالية، قطع الصلة تماماً، ينبغي عليكم قطع الصلة بصورة مطلقة.

كان هذا الرأي الجمهوري للعلاقة مع بريطانيا التي كانت تجري مباحثات مع جمهورية ايرلندا لعقد اتفاقية انكلو – ايرلندية تجبر القوميين الدستوريين وبريطانيا على ان يتباحثوا حول شكل من اشكال السلطة المشتركة. بأعطاء بعداً ايرلندياً لقضية ايرلندة الشمالية [31].

وعلى أثر التقدم السياسي السريع للشين فين قدمت " مقترحات انتقال السلطة المستمرة " لوزير الدولة لشؤون ايرلندا الشمالية جيمس برايور James Prior آلية أولى

لتسجيل ثقلها السياسي في المجتمع الكاثوليكي في الشمال وكانت فكرة محاولة أخرى للتوصل إلى تسوية انتقالية هي مبادرة جيمس برايور الخاصة به، والتدخل في وضع فُصّلَ في الورقة البيضاء يتناول العلاقات مع الجمهورية [32].

موقف رئيسة الوزراء البريطانية مارغريت تاتشر من أضراب معتقلي الجيش الجمهوري الايرلندي عن الطعام:

كان موقف مارغريت تاتشر من اضراب معتقلي الجيش الجمهوري الايرلندي عن الطعام متصلباً، واعلنت بأنها " سوف لن تذعن للأرهاب ، ولن تستسلم أبداً للأبتزاز الأخلاقي من قتلة مُدانين " ونبذت بشكل مطلق اقتراح بأن الجرائم التي سُجن عنها معتقلي الجيش الجمهوري الايرلندي كانت " سياسية " فيما قالت: " ليس هناك أي مُبرر سياسي لجريمة القتل أو أية جريمة أخرى [33].

وقد أصّرت على ان يوبي ساندز " قُتِل " بأراته وكان هو نفسه " دعونا لا نخفف من لهجتنا – قاتلاً مُداناً " [34]، وان " الشهداء الحقيقيون " كما صرّحت، كانوا الضحايا وليس مرتكبو الإرهاب[35].

وخلال زيارتها لايرلندا الشمالية في 28 آيار 1981، صّرحت في خطاب في قلعة ستورمونت Stormont Castle " أن يُقنع الشباب يُجرون أو يؤمرون بتجويع أنفسهم حتى الموت في قضية لاجدوى منها، فلا انا ولا أي من زملائي يرغب برؤية شخص يموت من العنف في ايرلندا الشمالية، شرطي، جندي، مدني أو معتقل من اضراب الجوع ... ويتخذ إلى الجيش الجمهوري الايرلندي المؤقت وجهة نظر مختلفة، ويبدو أن المضربين عن الطعام المتوفين، الذين قضوا على حياتهم، هم أكثر فائدة الجيش الجمهوري الايرلندي المؤقت من الأعضاء الأحياء، وعلى هذا النحو، استخفافهم المحسوب، وهذهِ الحكومة ليست مستعدة لشرعنة قضيتهم بالكلمة أو الفعل" [36].

ضربت مارغريت تاتشر على وترٍ حساس ووِصِفت بأنها كانت شجاعة ومُحقة عندما وَ صَفت مطالبة الجيش الجمهوري الايرلندي بالمعاملة كمعتقلين سياسيين أو كأسرى حرب " حرب زائفة بأكملها، فلو أنهم حصروا هجماتهم على أهداف عسكرية قد أدعو بأنهم جيش يقوم بحرب قذرة، كأنها حرب مغاوير دفاعية ضد قوة محتملة، لكن بأستهداف المدنيين العشوائيين بدمٍ بارد، كما كانوا يفعلون بانتظام، في تحدٍّ للضوابط المقبولة للحرب التي صاغها ميثاق جنيف، خسروا كل الحق في المعاملة كجنودً" ، والى هذا اليوم يتهم الشين فين

الحكومة البريطانية بتجريم الكفاح الآيرلندي،" لكنهم هم انفسهم فعلوا ذلك بتبني طرق أجرامية محضة. لم تكن أية حكومة لتمنح الشرعية للأرهاب" [37].

وقفت مارغريت تاتشر وقفة حازمة تجاه الاتهامات الموجهة لها من قبل الجيش الجمهوري الايرلندي بأنها قاسية القلب ولا تمتلك مرونة في التعامل معهم ، كما ان العالم ادرك لأول مرة ممَّ هي مصنوعة، إذ ان عزمها اثر على الأمريكيين، حينما حاول الجنرال غاليتري Galtieri بعد ستة اشهر تلت، أخبار مبعوث الكسندر هيغ Alexander Haig بأن تلك المرأة سوف لن تجرؤ على محاولة الاستيلاء مجدداً على فولك لاندز، قال له الجنرال فيرنون والترز Vernon Walters " سيدي الرئيس، لقد سمحت " تلك المرأة" لعدد من مضربي الطعام الذين من أصلها الاثني الأساسي الخاص بها يجوّعون انفسهم حتى الموت دون أن يطرف لهارمش ولو كنت مكانك لن اراهن على ذلك" [38].

من جانب آخر فاز المسلحون بأنتصار دعائي ضخم، ورغم ذلك لم يذعن وزير الداخلية جيم برايرJim Prior، لمطالب المضربين إلا أن ذلك اظهر شجاعة المضربين التي لاتنكر وعمق اخلاصهم لقضيتهم، وقد ولدّ ذلك انطباعاً عميقاً في كل من آيرلندا وحول العالم، ففي داخل ايرلندا وجه بوبي ساندرز المعروض على الملصقات جعله واسع السلطة يمدّ الجيش الجمهوري الايرلندي بالجنود مثلما فعّل اللورد كتشنر Kitchener للجيش البريطاني قبل سبعين عاماً، بينما من أمريكا تدفق سيل جديد من الدولارات إلى خزائن الجيش الجمهوري الايرلندي مانحة اياه الأموال لشراء المزيد من الأسلحة وتجهيز القاذفات بالقنابل للعشرة أعوام القادمة[39].

الخاتمة:

- من الواضح ان الحركة الجمهورية وعلى مدى تاريخها الطويل منذ قيام الحركة بداية القرن المنصرم لجأت إلى أسلوب الأضراب عن الطعام في محاولة للضغط على الحكومة البريطانية للرضوخ إلى مطالبهم. اذ يمتلك الجيش الجمهوري الأيرلندي تاريخاً طويلاً من النضال العسكري تجاه بريطانيا، فبعد انشقاقه إلى الجيش الجمهوري الرسمي والجيش الجمهوري المؤقت، وبعد إعلان بريطانيا الحكم البريطاني المباشر لإيرلندا الشمالية، قامت بريطانيا بأعتقال العديد من اعضائه النشطين على اثر قيامهم بعمليات وصفها البريطانيون بالارهابية .الامر الذي دعا المعتقلون إلى مواجهة ذلك بأحتجاجات عدة، أبرزها الإضراب عن الطعام في عام 1980-1981والذي نتج عنه وفاة العديد من المعتقلين

في محاولة منهم للاعتراف بهم كمعتقلين سياسيين في حين وضعتهم الحكومة البريطانية ممثلة برئيسة وزرائها مرغريت تاتشر في خانة الارهاب

- وانها لم تتأثر ولم ترضخ إلى الحركة الجمهورية، ووصفت المعتقلون المضربون بالارهابيين.
- أدى الأضراب إلى تعاطف الجمهور القومي الواسع والكبير مع المضربين ودعمهم من خلال مسيرات الأحتجاج الكبيرة التي شهدتها شوارع الستر (أيرلندا الشمالية) دعماً للمضربين. كما ادى الى ارتفاع شعبية الشين فين والجيش الجمهوري الايرلندي، على نحو واسع، وتُرجم ذلك من خلال حصولهم على مقاعد أكثر في الانتخابات المحلية لأيرلندا الشمالية. وتمكنت الحركة الجمهورية من الحصول على دعم وتعاطف كبيرين من المجتمع الدولي. ولم تفلح الإجراءات التي اتخذتها الحكومة البريطانية في طريقة التعامل مع المعتقلون والتي كانت تهدف إلى تحجيم دورهم سياسياً وعسكرياً .
- وبالنسبة لمعظم العالم، فأن معرفة القليل عن تفاصيل الموقف، وموت المضربين عن الطعام، صوّر بوحشية الانطباع بأن بريطانيا كانت حقاً دولة استعمارية تحتل ايرلندا الشمالية ضد رغبة سكانها المقموعين، وكانت معالجة الجيش الجمهوري الايرلندي للمضربين عن الطعام ساخرة كما قالت مارغريت تاتشر، لكنها كانت ناجحة بشكل كبير ، حتى انها كان لها تأثيرها على السيدة تاتشر نفسها.

الهوامش:

(1) Thomas Hennessy, A History of Northern Ireland 1920-1996, New York, 1997, P.260.

(2) Marc Mulholland , Norther Ireland, Avery Short Introduction, Oxford, university Press, 2002, p.106.

(3) Ibid.

(4) Alan asked and Chris cook, Post-war Britain; Political History, Secound Eedition, Penguin Books, London, 1984, P.359.

(5) Marc Mulholland, Op. Cit., P.107.

(6) Alan Sked and Chris cook, Op. Cit., P.360.

(7) Marc Mulholland , Op. Cit., P.109.

(8) Thomas Hennessy, Op. Cit., P.260.

(9) My the and Mortheland , Field Day Pamphet, 1984, No.5.

(10) Ibid, P.12.

(11) Thomas Hennessy, Op. Cit., P.262.
(12) John Campbell, The Iron Lady, Margaret Thatcher grocer's daughter prim minister, Penguin Book (USA), 2011, P.240.
(13) Thomas Hennessy, Op. Cit., P.262.
(14) Sinn Fein Poster Commemorating the twentieth anniversary of the hunger strikes, 2011.
(15) House of Commons, 20 November, 1980 (Vol. 4, Col. 881).
(16) Thomas Hennessy, Op. Cit., P.261.
(17) Padraig O'malley, Padraig, The Uncivil wars: Ireland today, Belfast, P.333.
(18) John Campbell, Op. Cit., P.266.
(19) Padraig O'malley, Op. Cit., P.270.
(20) Thomas Hennessy, Op. Cit., P.292.
(21) Chris Ryder The Ulster Dedfence Regiment, An Instrument of Peace, London, 1991, P.194.
(22) Marc Mulholland , Op. Cit., P.113.
(23) Ibid, P.114.
(24) Padraig O'malley, Op. Cit., P.268.
(25) Thomas Hennessy, Op. Cit., P.263.
(26) Paul Bew and Gordon Gillepie, Northern Ireland: Aehronology of the Troubles, 1968-1993, London, 1993.
(27) Ibid, P.165.
(28) Padraig O'malley, Op. Cit., P.281-282.
(29) Thomas Hennessy, Op. Cit., P.263.
(30) Padraig O'malley, Op. Cit., P.281-282.
(31) Thomas Hennessy, Op. Cit., P.264.
(32) James Prior , A Balance of Power, London, 1986, P.197.
(33) Home of Commons, 20 November, 1980.
(34) Ibid, 14 May, 1981.
(35) John Campbell, Op. Cit., P.341.
(36) Ibid.
(37)Marc Mulholland ,op. cit., p. 114
(38)John Campbell ,op. cit.,p. 342.
(39) Marc Mulholland ,op. cit., p. 114

المصادر :

1. Michael Farrel (1976) Northern Ireland, The Orange state, London
2. Cornelius Oleary, (1993), Northern Ireland 1921-1972), Misshapen Constitutional Development and Scholary Silence in R. J. Hill and Marsh (eds), Modern irish Democracy Dublin.
3. Sean Macdstiofun,(1974) Revolutionary in Norther Ireland, Farnborough 1974.
4. Padraig Omalley, Padraig, The Uncivil wars: Ireland today, Belfast.
5. Thomas Hennessy (1997) A History of Northern Ireland 1920-1996, New York.
6. My the and Mortheland (1984), Field Day Pamphet No.5.
7. Marc Mulholland (2002) Norther Ireland, Avery Short introduction, Oxford, university Press.
8. Paul Bew, Peter Gibbon and Henry Patterson, (2002) Northern Ireland (1921-2001), Political Forces and Social Classes, London.
9. Alan Sked and Chris cook (1984), Post-war Britain, apotitical History, Seconnd edition, Penguin books, London.
10. Chris Ryder (1991), The Ulster Dedfence Regiment, An Instrument of Peace, Lonon.
11. Paul Bew and Gordon Gillepie, (1993) Northern Ireland, Aehronology of the Troubles, 1968-1993, London.
12. House of Commons, 20 November, 1980 [Vol.994, Col 27].
13. John Campbell, (2011) The Iron Lady, Margaret Thatcher grocer's daughter prim minister, Penguin Book (USA).
14. Sinn Fein Poster Commemorating the twentieth anniversary of the hunger strikes, (2011).
15. James Prior (1986) A Balance of Power, London.
16. Home of Commons, 14 May, 1981, [vol.4, Col. 881].
17. Walter Laqueur, (1974) A Dietionary of Politics, London, weiden feld and Nicolson.
18. علي حسين علي حمود البديري، التطورات السياسية في ايرلنده الجنوبية (1921-1949) دراسة تاريخية، رسالة دكتوراه مقدمة إلى مجلس كلية التربية، الجامعة المستنصرية، 1999).

The protest attempts of IRA detainees and their impact on the crystallization of republican thought in Northern Ireland

Assist Prof Dr. Kefah karim salman

College of Arts, Al-Mustansiriya University

kefah_alsaadi@yahoo.com

Keywords: European history. Strike. Irish Army

Summary:

It is clear that the hunger strike policy adopted by the IRA prisoners during their struggle, whether in the seventies or eighties of the last century, did not lead to its goals in persuading the British government, headed by Margaret Thatcher, to grant the IRA prisoners the status of political prisoners and what they called "status". Special category "after being promised earlier by the Minister of Northern Ireland William Whatello some privileges to distinguish them from inmates who were imprisoned as a result of paramilitary crimes, but these privileges were gradually abolished by the Minister of Northern Ireland Verlaine Rasmi, and this led to strikes inside the prisons in 1976 And 1978, called the Dirty Protest, was initially opposed by the IRA, but in 1980 the prisoners began to escalate in an attempt to force the British government to grant them political status. This led to the strike's supporters holding a number of protest marches, demanding civil rights.

Bobby Sands is one of the most prominent strikers that ended with his death, and before that he had won the seat of Harry West, leader of the Federalist Party. All this did not discourage Prime Minister Margaret Thatcher, who declared

that she could not agree to granting special status to perpetrators of criminal acts, even if his motives were political.

After the death of Sands and other prisoners, violence erupted in Northern Ireland, in which 61 people were killed.

The hunger strike failed politically because it did not achieve its goals at that time, but the paramilitary prisoners were able to take the status of prisoners of war.

The strikes led to the escalation of Sinn Féin's popularity, due to the sympathy of the nationalist masses with them, and their obtaining more seats in the Northern Ireland Council elections, and despite that, the nationalist movement was unable to win the sympathy of the British government represented by its Prime Minister Margaret Thatcher, who described the strikers as terrorists and that she You will not submit to terrorism. On the other hand, Sinn Féin and the republican movement were able to communicate their voice to the whole world in their belief in their cause, and they were able to direct the world's attention to them and that Britain is a colonial state occupying Northern Ireland.